الرمز في الشعر العراقي

ديوان رحم الخواطر للشاعر حامد عبد الحسين حميدي المطيري أنموذجاً

الدكتوره خيريه عچرش (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران أهواز، الأهواز، إيران
Echresh.kh@gmail.com
حسين عاشور كاظم البخاتي
طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
Hhsynashwr6@gmail.com

Symbolism in Iraqi Poetry - The Diwan of Womb of Thoughts by the Poet Hamid Abdul Hussein Hamidi Al-Mutairi as a Model

Dr.:kharya echresh (Responsible author)
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Theology and Islamic Knowledge , Shahid Chamran University of ahvaz , Ahvaz , Iran
Housin ashoor Kazem albokhati
Ph.d student , Department of Arabic Language and Literature , shahid chamran university of Ahvaz , Ahvaz , Iran

الملخص:-

تناول هذا البحث دراسة الرمز في شعر الشاعر عبد الحسين المطيري كنموذج عن الرمز في الشعر العراقي، وقد بدأ البحث بالحديث عن مفهوم الرمز من حيث اللغة والاصطلاح، ثم تناول أنواع الرمز من رمز ذاتي ورمز تراثي ورمز أسطوري ورمز طبيعي، ليتم بعد عرض هذه المفهومات الانتقال إلى الحديث عن تجليات الرمز في ديوان رحم الخواطر للشاعر عبد الحسين المطيري الذي اتخذ منه هذا البحث مادة لدراسة الرمز في الشعر العراقي كنموذج عنه، فوجدنا من الرموز فيه الرموز الذاتية والرموز التراثية والرموز الطبيعية والرموز التاريخية، وتوصل البحث إلى أن الشاعر اتكأ على الرمز في إيصال أفكاره إلى المتلقي وجعل من الرمز مادة لخطابه الشعري، حيث اكتسى هذا الخطاب ثوباً من الجمالية الشعرية وساعد على إشراك المتلقي في الخطاب الشعري ليعمل الفكر في البحث عن مقاصد هذا الخطاب عبر ابتعاد الشاعر عن التقريرية في عرض المعاني والأفكار.

الكلمات المفتاحية: الشعر العراقي، الرمز، الشاعر حامد عبد الحسين حميدي المطيري، ديوان رحم الخواطر، الجمالية الشعرية.

Abstract:-

This research dealt with the study of the symbol in the poetry of the poet Abdul Hussein Al-Mutairi as a model of the symbol in Iraqi poetry. The research began by talking about the concept of the symbol in terms of language and terminology , then it dealt with the types of symbol , such as an intrinsic symbol , a heritage symbol , a mythical symbol, and a natural symbol, so that after presenting these concepts, we move on. To talk about the manifestations of the symbol in the collection of Rahm al-Khawatir by the poet Abdul Hussein Al-Mutairi, from which this research was taken as a material for studying the symbol in Iraqi poetry as a model for it. We found among the symbols in it the personal symbols, the heritage symbols, the natural symbols, and the historical symbols. The research concluded that the poet relied on the symbol in conveying He conveyed his ideas to the recipient and made the symbol a material for his poetic discourse, as this discourse took on a garment of poetic aesthetics and helped to involve the recipient in the poetic discourse so that the mind could work in searching for the purposes of this discourse by moving the poet away from declarativeness in presenting meanings and ideas.

Key words: Iraqi poetry, symbol, poet Hamid Abdul Hussein Hamidi Al-Mutairi, poetry collection, poetic aesthetic.

المقدمة:

كان الشعر منذ أقدم العصور وسيلة الشاعر للتعبير عن أفكاره وما يجول في خاطره، ويلجأ الشاعر في سبيل تحقيق ذلك إلى أساليب شتى، فقد يعبر عن المعنى الذي يريده بطريقة مباشرة، وقد يلجأ إلى التعبير عن هذه الأفكار بطريقة غير مباشرة، سواء عبر الإيحاء أو التلميح، أو باستعمال المجاز من صور بيانية بلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية، وقد يسلك الشاعر في أحيان أخرى مسلك الغموض في التعبير، فيستعمل الرمز الذي قد يكون رمزاً مستعملاً ومألوفاً يمكن الوصول إلى أبعاده ومراميه، وقد يكون رمزاً شخصياً يلبسه الشاعر لبوس أفكاره، فيكتسي نوعاً من الغموض الذي يستدعي من المتلقي أن يطلق العنان لخياله وأفكاره للوصول إلى ما يقصده الشاعر.

وقد لجأ الشاعر عبد الحسين المطيري إلى استعمال الرمز في شعره، فكانت له دلالاته المتنوعة، ولا بد لنا قبل الحديث عن هذه الرموز من الحديث عن مفهوم الرمز وأنواعه.

أولاً – مفهوم الرمز:

الرمز في اللغة من مادة رمز، والرمز في اللغة تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحرك اللسان بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل إن الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه بعينين، ويقال: رمزته امرأة بعينها أي غمزته، والرمز والترميز في اللغة الحزم والتحرك...[١].

وقد وردت كلمة الرمز في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[٢].

والرمز إشارة بنحو يد أو رأس وأصله التحرك وربما أطلق الرمز على ما يشير إلى شيء آخر، ويقال لذلك الأخذ مرموز إليه والجمع رموز[٣].

وذكر المعجميون أن الراء والميم والزاي أصل واحد يدل على حركة واضطراب، ويقال كتيبة رمازة تموج من نواحيها، ويقال ارمأز أي تحرك، وارتمز أيضاً تحرك[٤].

أما من حيث الاصطلاح فالمفهوم الشائع للرمز هو خروج الكلمة عن دلالتها الأصلية،

"وربما يطلق الرمز على ما يشير إلى شيء آخر، وهذه العلاقة الداخلية تربط الدال بالمدلول، وتظهر جلياً في ما يسمى رمزاً،....والرمز علامة تدل على موضوعها المجرد الواضح دون أن تكون هناك علاقة شبه أو مجاورة،....فالرمز يربط الدال بالمدلول ربطاً آلياً تبعاً لأرضية التأويلية المشتركة المتفق عليها"(٥).

وقد عرف بعضهم الرمز من خلال تمييزه عن الاستعارة والتشبيه، ذلك أن هذين الأخيرين يعتمدان على قرائن صريحة أو ضمنية السياق، فالصورة مقيدة تربط الدال بالمدلول بعلاقة المشابهة، بينما تكون الصورة حرة في الرمز ولا وجود لعلاقة بين الملفوظ والمعنى، فالدال يحتمل عدة تأويلات، "فالرمز تعمد استخدام كلمة أو عبارة لتدل على شيء آخر لا بالتشبيه، لأن الرمز على نقيض الاستعارة والتشبيه يفتقر إلى النشبه به، بل الإيحاء والإشارة ويختار الشاعر الرمز على هواه ليقوم مقام فكره أو نسق أفكاره، وقد يوصف أن نوعاً من القناع يغشى هذه الأفكار....الرمز يكون دائماً وسيلة لنقل المشاعر وحالات الوعي المعقدة النادرة ولا يكون أبداً وسيلة لنقل مذاهب أو أفكار"(٦).

ويمكن القول إن الرمز والاستعارة رسالتان موحيتان إلا أن إيحاء الأولى عميق معبد الدلالة، أما إيحاء الثانية فبسيط وسطحي وقريب الدلالة، "فإذا تجاوزت الصورة الشعرية حدود الدلتلة الحسية الضيقة واعتمدت على الإيحاء الرحب وليس على تقرير الأفكار وبسطها....غدت تلك أنها الصورة وأمثالها رموز تثير من النواحي النفسية ما لا تقوى على أدائه اللغة في دلالتها الوضعية"(٧).

ويرى الرمزيون أن لغة الشعر تختلف عن لغة النثر، فإذا كانت هذه الأخيرة تنزع إلى المنطق، فإن لغة الشعر تنزعةإلى الإحساس الداخلي للإنسان فلا يعقل أن تكون لغتهما واحدة، ذلك أن "ذكر الشيء باسمه يزيل ثلاثة أرباع متعة الشاعر بإحساسه، يجب الإيحاء به ذلك هو الحلم"(٨).

إن غرض لغة الشعر الإيحاء والإيماء وليس الإيضاح، ويكون ذلك باستعمال الرمز الذي يتوفر على قدر من الغموض إلا أنه لا يصل إلى درجة الإبهام، ذلك أنه "ربما لا يكون ابشيء الغامض في الرمز هو الفكرة التي تقع من خلفه ولكن مساق الدلالات الضمنية الاي تسكن عنده الفكرة... فالخاصية الحقيقية للتعبير الرمزي ليست هي الغموض أو السردية،

ولكنها الالتباس وتنوع التفسيرات الممكنة حتى نجد معنى الرمز يتغير تغيراً مستمراً"[٩].

وقد رأى البعض أن الرمز قناع يتخذه الشاعر للتعبير عن آرائه ومواقفه، وخاصة السياسية منها، أو حتى قناعاً للتعبير عن كل ما يختلج في نفسه من دون خوف من أي ردة فعل، فليس الرمز إلا وجهاً مقنعاً من وجوه التعبير بالصورة[١٠].

أما معنى الرمز من المنظور الأدبي فيحدده الأدباء والدارسون باستبطان الشاعر لعواطفه وأفكاره والتغبير عنها بصورة لا تكون مبنية على التشابه الواضح بين طرفي الصورة بل بواسطة الإيحاء، فالرمز "فن التعبير عن الأفكار والعواطف ليس بوصفها مباشرة ولا بتعريفها من خلال مقارنات أو تشبيهات مفتوحة وواضحة بصورة محسوسة ولكن باقتراح ما هي هذه الأفكار والعواطف بإعادة خلقها في ذهن القارئ من خلال استخدام الرموز"[١١].

وبالتالي فإن مفهوم الرمز يقوم "على أنه ما يدل على شيء غير ذاته أو على شيء مكمل لذاته أي إنه يمثل أشياء خارجية عنه ويصورها شريطة أن تكون هذه الأشياء مرتبطة بالرمز ذاته بطريقة ملائمة ودون تعسف"[١٢].

وهذا يعني أن الغلاقة التي تربط الدال بالمشار إليه في الرمز هي علاقة اصطلاحية متواضع عليها كدلالة رسم الميزان على العدل، ورسم الحمامة التي تحمل غصن الزيتون على السلام وغيرها....

ثانياً – أنواع الرمز:

ذكر الباحثون أنه من الممكن أن يصنف الرمز في أربعة أنواع هي: الرمز الذاتي والرمز التراثي والرمز الأسطوري والرمز الطبيعي.

١- الرمز الذاتي:

ويسمى أيضاً الرمز الخاص، ذلك أن هناك رموزاً عامة تداولها الشعراء في قصائدهم واستقرت دلالتها الثقافية، وهو شائع الاستخدام، فالرمز العام هو "الجهود الإيحائية التي تبذل خارج دائرة الرمزية كتيار فهو تعبير غير مباشر عن فكرة بواسطة استعارة أو حكاية بينها وبين الفكرة المناسبة، وهكذا يكمن الرمز في التشبيهات والاستعارات والقصص الأسطورية والملحمي والغنائي، اتخذه الناس قديماً ليبرزوا قيمة الفكرة بواسطة الاستعارة

الحسية، أو ليخفيها كما هو الشأن عند الصوفيين في الديانات، ومن غاياته كذلك تزيين الفكرة وتجنب الاعتراف الشخصي"[١٣].

أما الرمز الذاتي فهوالرمز الذي يستعمله الشعراء بدلالات خاصة، بهم بحيث يتميزون ويعرف كل شاعر برمزه الخاص، ويعرف الرمز الذي الخاص بأنه الرمز "الذي يأتي به الشاعر أصالة دون أن يسبقه إليه غيره، ليعبر عن تجربة أو شعور ما، وهو محفوف بكثير من المزالق أهمها الغموض الذي يكتنفه ويحول بعض الشعر الرمزي إلى طلاسم يصعب حلها، ولكي ينأى عن الغموض يقع في مأخذ آخر وهو التفسير الذي يلجأ إليه بعض الشعراء قصد التخفيف من حدة الغموض فيملأون هوامش قصائدهم بالتعاليق والشروح التي تفسر مراميهم"[١٤].

والرمز الشخصي في أصله رمز عام يقوم الشاعر بتطويره من خلال طبعه بالطابع الشخصي، وقد يكون هذا التطوير هو اكتشاف الشاعر لجوانب وأبعاد جديدة من دلالات الرمز كانت موجودة أصلاً، ولم ينتبه إليها من سبقوه، أو باستخدام الدلالات الموجودة فيه بطريقة فذة، وينبغي في ذلك أن يكون من صميم تجربة الشاعر الذاتية معبراً عن رؤياه الخاصة، ويكون الرمز في هذه الخالة من أبداع الشاعر بمعنى أنه لم يسبقه أحد إلى استخدامه، فيأتي الرمز مشبعاً بالدلالات المعبرة عن تجربة الشاعر، وخصوصية رؤياه التي تميزها عن غيرها وتفردها النوعي فنياً...[١٥].

فالرمز الذاتي هو ما يبتدعه الشاعر ويبتكره من غير أن يسبق إلى استعماله من خلال مزج نظرته إلى الواقع بخياله العميق، "قد يستخدم الفنان رمزاً قديماً بعد أن يحطمه ويعيد صياغته لكن الابتكار ولا سيما في ميدان الرمز الخاص هوالذي يهبه قيمته وأهميته شريطة أن نعني بالكلمة لا مجرد الرغبة في الجديد بل القدرة على الخلق"[١٦].

فقد يستعمل الشاعر الرمز العام ولكنه يعيد إبداعه وخلقه من جديد ليصبح رمزاً ذاتياً من خلال إعطائه أبعاداً إيحائية جديدة وهذا يتوقف على الإبداع والابتكار.

٢- الرمز التراثي:

وهو استعمال الشاعر للموروث التراثي من شخصيات ونصوص ويختار الشاعر من هذا

التراث ما يوافق طبيعة أفكاره، "ونعني بالرمز التراثي الاستحضار الرمزي الذي يقوم به الشاعر لموروثه من نصوص وطقوس تتداعى إليه من الذاكرة الجماعية العربية، والتراث بالنسبة للشاعر ليس هو الكتلة الامدة الماضية المتشكلة المكتملة التي تقبع على بعد آلاف أجزاء الزمان والمكان، لتعاين من هذه المسافة، فيتحدث عنها كموضوع وعن الشاعر كذات"(١٧).

وقد استغل الشعراء التراث بكل زخمه ليعبروا عن تجاربهم ومشاعرهم وهمومهم ليشاركوا بها متلقي أعمالهم، فيختار الشاعر من الشخصيات التراثية والتاريخية ما يوافق أفكاره وهموم عصره، والقضايا التي يطرحها في عمله الأدبي، فيوظف الشاعر الشخصيات البطولية والثورية والنبيلة من أجل القضايا النبيلة.

كما يستقي الشعراء من الموروث الأدبي رموزاً لقصائدهم لما للمصادر التراثية من أثر في نفوس الشعراء المعاصرين، "فالشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التغبير عنها، فكانت ضمير عصرها وصوته، ومن الشخصيات التي حظيت بالقدر الأعظم من الاهتمام هم الشعراء الذين ارتبط اسمهم بقضية معينة وأصبحوا في التراث رمزاً لتلك القضية وعنواناً لها، سواءً أكانت سياسية أو فكرية أو حضارية أو عاطفية...."(١٨).

وقد أصبح شعراء الشعر الحر أكثر استخداماً للتراث في قصائدهم "من أجل التعبير عن رؤاهم المختلفة المعقدة متجاوزين مرحلة التعبير عن الموروث التي كانت سمة واضحة في مدرسة إحياء التراث ليصلوا إلى مرحلة التغبير بالموروث وهي مرحلة أكثر إيحاء وأعمق تأثيراً، بحيث أصبح الرمز التراثي جزءاً من نسيج القصيدة، وعضواً لا تستغني عنه ولا تقوم بدونه"(١٩).

ومن أشكال التعبير بالرمز التراثي نجد الرمز الديني وهو توظيف الشاعر شخصيات الأنبياء عليهم السلام وسور القرآن الكريم وقصصهم، وبعض الأماكن المقدسة كغار حراء وغار ثور وكتوظيف قصة سيدنا أيوب عليه السلام رمزاً للصبر،....(٢٠).

٣- الرمز الأسطوري:

شاع استخدام الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، إذ يساقي الشاعر من أحداث

الأسطورة عناصر تشابه أحداث عصره، فينقل المتلقي إلى أحداث الماضي، وينقل الماضي إلى الحاضر، فيقوم بذلك بإعادة خلق الأسكورة فنياً لتلائم تجربته الشعرية، "فالرمز الأسطوري إذن يجاوز الوظيفة الأولى للكلام....إلى وظيفة أكثر تعقيداً وهي الوظيفة الجمالية التأثيرية الأدبية التي تنشأ ادة بحذف الاستعمالات الجاهزة للكلام، وبالتوظيف الاستثنائي للغة، لذلك استعان الشاعر المعاصر بالأسطورة كإطار رمزي دال، وكانت محاولة منه لتفسير ما يستصعب فهمه على الإنسان من ظواهر كونية تفسيراً يقوم على مفاهيم أخلاقية وروحية"(٢١).

وقد احتلت الأسطورة مكانة هامة في الشعر وفي شتى العلوم الإنسانية باعتبار "أن الشعر في نشأته كان متصلاً بالأسطورة لا باعتبارها قصة خرافية مسلية وإنما باعتبار ا تفسيراً للطبيعة والتاريخ، وللروح وأسرارها، ومعنى تفسيرنا للأساطير هو أن نكتشف فيها رموزاً للأشياء، والأساطير ليست سوى أفكار متنكرة في شكل شعري"(٢٢).

وقد قسم بعض الباحثين العصور في سبيل وضع منطلق للخيال الذي يعود إلى عالم الأسطورة إلى ثلاثة أقسام:

- عصر الآلهة.
- عصر الأبطال.
- عصر الإنسان.

ويعيش الشاعر والأسطورة في العصرين الأولين معاً في عالم واحد، ولديهما موهبة واحدة هي قوة التشخيص، لذلك ينظر الشاعر الحديث إلى عالم الآلهة والأبطال نظرته إلى فردوس مفقود،.... ويحن الشاعر إلى هذا العصر الذهبي للشعر حين كانت الأشياء مليئة بالألوهية(٢٣).

وأصل الأساطير رمز اتخذه الإنسان تجسيداً لقوى الطبيعة، "تحاول أن تفسر الظواهر الكونية حولها وقبلها فنسبها إلى قوى غير ظاهرة في حكي روائي يربط بين الفكرة والحركة ويجسد الظواهر لتصبح المائنات متحركة وتتأثر بغيرها"(٢٤).

ويمزج الشاعر في بعض الأساطير قدرات الإنسان المحدودة بطاقات هائلة تؤكد قدرة

الإنسان على مواجهة المجهول والتغلب عليه، "ارتفاع البطل بحكم قدراته أو بحكم أدواته إلى مصاف أصحاب القدرات الخارقة، فيأتون بالمعجزات ويحققون لأنفسهم أو للرمز الذي يرمزون إليه الانتصار على القدر، ومثل هذه الأساطير تمجيد للإنسان القوي"(٢٥).

وقد حاول الشاعر في العصر الحديث خلق الأسطورة من جديد باستغلال معطياتها وفهمها واستيعابها، ليجسد من خلال تجربته الشعرية ما يلائم أفكاره وموضوع عمله الأدبي، "فالأسطورة ليست مجرد إطار بسيط تأتي أفكار الأديب الجاهزة لتملأه وإنما إذا وجدت أسطورة ما صدى خاصاً في نفسية الأديب أو إذا وجدت بعض الومضات القائمة في لا وعي الشاعر في بعض معطيات الأسطورة صورتها الرمزية التي تضيئها وتنقلها إلى الشعور، عندئذ فقط يتم اعتماد الأسطورة وتتحقق الصلة بين الأسطورة والتجربة الشعرية"(٢٦).

إن الشاعر عندما يستخدم الأسطورة فإنه لا يجسدها كما هي بل يحاول أن يستقي منها الرموز وينهل من معطياتها ليعبر بها عما يريده، فالأسطورة رمز موغل في القدم استغله الشعراء للتعبير بحرية عن أفكارهم، والشاعر العربي الحديث اجتهد في "الاستفادة من الأسطورة رمزاً وبنية ورؤية لدفع القصيدة الجديدة إلى مساحات رحبة كثيفة بالدرامية والدلالات الغامضة، والإيحاء الدلالي...."(٢٧).

٤- الرمز الطبيعي:

يستعمل الشاعر العربي المعاصر عناصر الطبيعة عن طريق التجسيد والتشخيص رموزاً للتغبير عما يريده، فقد عدت الطبيعة ملاذ الشعراء، ويتداخل الرمز الطبيعي مع الرمز الذاتي، لذلك يختلف في تأويل بعض الرموز الطبيعية عند الشعراء، لأنها تتغير من شاعر إلى آخر ومن قصيدة إلى أخرى، إلا أن هناك بعض الرموز الطبيعية يكاد يكون لها معنى إيحائي مشترك عند كثير من الشعراء، "ويتقارب المعجم الرمزي للشعر الحديث ليؤلف حقلاً دلالياً كلياً، نعثر فيه مثلاً على القمح رمزاً للخصوبة، والحجر للجماد والموت، والبحر للمغامرة والمستقبل، والنار للثورة والانقلاب، والرماد للنهاية والعدم، والليل للحزن والتأمل، والمرأة للذات والوجود، والرمل للزمن، والشجرة للحياة، والخمر للامتلاء والكفاية"(٢٨)، فالشعراء يستقون من عناصر الطبيعة من ماء وحجر وتربة وشجر وبحر رموزاً للتعبير عن ذاتهم وهمومهم.

ثالثاً – تجليات الرمز في ديوان رحم الخواطر:

يضج ديوان رحم الخواطر للشاعر حامد عبد الحسين المطيري بمجموعة من الرموز التي يجد الباحث فيها مصدراً غنياً للإيحاءات والإيماءات، وربما كان من أولى تلك الرموز هو رمز العذرية التي تدل على البراءة والفطرة، وقد لجأ الشاعر إلى استعمال هذا الرمز في غير موضع فمن ذلك قوله في قصيدته: للزوابع رؤيا ماطرة:[٢٩]

قوافٍ متمردةٌ من الحدس

تمضغُ أبوابَ ذاكرةٍ..عاصفةٍ بينَ طيٍّ ونشرِ

في السلاسلِ، نافذةٌ غضّةٌ

بحرائقَ منضّدةٍ

هناكَ....غصّت حوافرُ أناملي

طفت تجاعيدُ عتمةٍ، في عذريّةِ الشّرانق

إننا نجد الشاعر هنا وقد لجأ إلى ما ترمز إليه العذرية من براءة ووجود على أصل الخلق والفطرة، فإن أفكار الشاعر مشوشة تتهادى من حدسه المثير من الأفكار التي يمكن نظمها في قواف، إلا أن تلك القوافي متمردة على أصل فطرتها، لتبدو لنا في تلك السلاسل المقيدة لذاكرته نافذة غضة، وهذه النافذة الغضة الندية تقارب في مفهومها الدلالي البعيد مفهوم العذرية، ليتضح لنا ما ترمز إليه تلك العذرية عندما يشرح لنا كيف أن العتمة قد طفت من التجاعيد، وكلا التجاعيد والعتمة أشياء طارئة على أصل الفكرة من الاستواء والنور، الكامنين في عذرية الشرانق، فطرة البدء، وبراءة البداية.

ويكرر الشاعر هذا الرمز رمز العذرية مع الندى والشرنقة في موضع آخر كما نجد في قوله في قصيدته: حتى تشرنقت... نصلاً أعزل[٣٠]:

ما وراءَ الكيّ

أغرزُ عناقَ الرّملِ...مدارج رفوفٍ

التمرّد، ضميرُ الجسدِ

المستتر....

بينَ أبريقِ خاصرةٍ نديّةٍ

مسافةٌ عالقةٌ في...محاجرِ اختبائي

.....

في وضحِ النّهارِ أشمّ رائحة

مساقطِ الرّحيل

الممدودِ عبرَ عذريّةِ الحروف

إن تلك الأحداث التي تعصف في ذهن الشاعر وقوة الحبس التي تعاني منها ذاته الشاعرة، قد حولت من رمز الشرنقة الدال على البراءة والطفولة وبدء الخلق إلى دلالة أخرى ملؤها البطش والحدة، فإن التطور الطبيعي للشرنقة البريئة هو أن تصير فراشة لطيفة، إلا أن الشاعر قد تشرنق فأخرج نصلاً حاداً، لكنه نصل أعزل في محاولاً للحفاظ على الدلالة الأصلية. ليأتي رمز العذرية مرة أخرى معبراً عن اختلاط براءة الفطرة بما يشوبها من أزمة العمر والدواعي المكتسبة.

ويأتي رمز الرمل في عند الشاعر للدلالة على الزمن الهارب بين أصقاع العمر، وإن كانت رمزية الرمل دالة على الزمن عند الشعراء[٣١]، فإن الشاعر قد حمل هذا الرمز العديد من الدلالات التي يستطيع القارئ أن يستنبطها من بين سطوره الشعرية، ولا سيما أن الشاعر لم يذكر الرمل في قصيدته، بل اكتفى بأن يجعل هذا الرمز عنواناً لها، من دون أن يذكره فيما بعد، يقول في قصيدته: رمال نازفة:[٣٢]

متدرّجةٌ كسلالمَ هي

أرجلي...

باتَ يغنّي على شفتي

فمٌ

لم يذق حلاوةَ الطّلاء

سأتركُ شيخوختي

تلوّح في أفقٍ

أسقمتهُ ثرثرةُ الأنينِ

والمقاهي المغروزةُ

في ظلمةِ الوهن

أبوابها الغائبةُ

تلوكُ عربةَ الحياةِ الآسنةِ

بعكاز السّنابلِ اليابسة

فالشاعر هنا كما نرى يدلل على معنى رمز الرمل من خلال مجموعة من الألفاظ الدالة على عنصر الزمن: الشيخوخة، والأفق، والوهن، وعربة الحياة، وعكاز السنابل، ويباستها، إلى جانب تدرج رجليه حتى باتتا كالسلالم، فكل هذه العناصر تدل على التقدم في العمر، واليأس، والألم والمرارة، ونجد هنا أن الشاعر استعمل رمزاً من رموز الطبيعة المتعارف على استعماله عند الشعراء، إلا أنه أعطى رمزه خصوصية من خلال جعل الرمل نازفاً، وأوضح رمزه من دون أن يقع في نمطية شرح المفردات أو إيضاح الرمز المباشر، بل من خلال الإيحاءات ودلالات الألفاظ المستعملة، وهذا ما أعطى تلك الهصوصية لرمز معروف من رموز الطبيعة، وهذا دأب الرموز الطبيعية التي يتناولها كل الشعراء، فيمنحها كل شاعر من روحه وتجربته دلالات تمنحها خصوصية ما حتى تصبح أقرب إلى الرموز الذاتية[٣٣]، وكل ذلك بحسب تجربة الشاعر وابداعه وخياله الذي يقوده إلى الابتكار والتجديد.

ويأتي رمز الفراشة في تصوير فريد في شعر الشاعر، وعندما ما نجده في قصيدته: عاريات القيظ، إذ يقول[٣٤]:

عطشُ اللّذّةِ البالية

...مثل الطلع

أطلقتُ بكاء الفراشات

نزوةُ

برائحةِ النوايا

في بقعةِ ضوءٍ هشّةٍ

أسرجتُ...مخالبَ

الشائعاتِ

وهي تنشبُ أظفارها...

في مساماتِ أصواتنا

هدأت عارياتُ القيظِ

جرعة ليلٍ... غضٍّ

الشاعر هنا يستعير رمز الفراشة التي تحوم حول النار حتى تحترق بها، إلا أن الشاعر قد حول هذا الرمز إلى صورة أخرى حين جعل من تلك الفراشات ابكي حتى يسمع صوت بكائها، وهي من عطش اللذة تبكي، ليكون طيرانها ليس حول لهيب النار، فليست النار من أحرقتها حتى جعلتها تبكي، فالنار هنا نار الشائعات وهي رمز طبيعي آخر كان عادة الشعراء أن يستعملوه للثورة والتمرد والانقلاب[٣٥]، وقد استثمر الشاعر هذا الرمز لينقلب ويثور على الوضع الذي يعيش فيه من انتشار الشائعات التي لا تؤدي إلا إلى الضياع، والموت عندما نشبت أظفارها في مسامات أصواتهم.

ويستعير الشاعر رمز المقصلة المؤدية إلى الموت في قصيدته طير الغسق، يقول:[٣٦]

من مقلتيكِ يتفتّقُ

جرحٌ

يفجّرُ في قبوِ ذكرياتنا

انحناءات شمس

واغترابَ رياح

تحاصرني: أساطيرُ الليالي

وآلامي

أشواكاً جليديّةً غرست

في نافذةِ الحلم

أجنحةً فضيةً

تحتضنُ تباريحَ الصمت

وئيداً

تحزّرأسَ حماقتي

على مقصلةٍ يونانيةٍ

أعلنتُ حدادي

أن المقصلة اليونانية هنا لم تقم بقطع رأسه لخيانته أو لانحرافه عن روح الدين، بل من جراء حماقته التي يكابدها نتيجة الصمت المطبق على روحه، فلا تحرك ولا حراك، بل إذعان من دون استئذان، والعيش باق على ذكريات ذابلة مدفونة في ظلمات فوقها ظلمات.

أما في قصيدته شجرة النبق فنراه يستعير رمز المومياء، فيقول[٣٧]:

.....

بوسوسةٍ محظورةٍ

وعقودٍ مؤجلةٍ..

بصفقةٍ من المراهنات

تقطعُ تذكرةً لمسافاتٍ

فارهةٍ

ما كنتُ لأقطفَ..

منها إلا أمنية

تعلقت بأذيالِ

الهزيمة

لحظةً عرجاءُ

تحنّطت كمومياء

فرعونيّةٍ

انسلخت من

لذّةِ التّاريخ

فهذه المومياء الجامدة الجافة التي تشبه بجمودها جمود اللحظات التي يعيشها الشاعر، إنها ترمز إلى الجمود وإلى القدم، وإلى انسلاخها عن الواقع والحياة وانفصالها عن الدنيا، هي رمز لكل شيء وقف على الحياد من جدار الزمن، ثابت على حاله مع تغير المواقف والأماكن والأزمان.

لقد كان الشاعر حامد عبد الحسين المطيري متكئاً على العناصر الطبيعية في استقاء رموزه أكثر من اتكائه على التاريخ الذي يبدو كأنه لا يشبع روحه العطشى إلى التحرك والبعد عن السكون، بل هي روح آخذة بنفحها نحو المستقبل، ليخرج لنا من رحم خواطره نفحات مستقبلية مؤذنة بولادة قصائد نثرية تضاف إلى ألق الشعر العراقي الذي لا يقف عن حدود في العطاء[٣٨]، ليؤكد لنا مشروعية الحلم وولادة أخرى متجددة للشعر العراقي،

نتائج البحث:

وقد توصل هذا البحث إلى جملة من النتائج من أهمها:

١- ابتعد الشاعر في خطابه الشعري عن التقريرية والمباشرة فاستعمل الرمز في عرض أفكاره وإيصال معانيه.

٢- استعمل الشاعر بعض الرموز المعروفة في التراث الشعري كرمز الرمل والمومياء.

٣- استعمل الشاعر من الرموز الطبيعية رمز الفراشة، وهو رمز متعدد الدلالات ويفسح للمتلقي استعمال خياله في سبيل الوصول إليها.

هوامش البحث

(١) - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2005، 223/5. مادة رمز.
(٢) - آل عمران، 41.
(٣) - لسان العرب، 223/5.
(٤) - ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، 487/1.
(٥) - بوصلاح، نسيمة، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة، الجزائر، 2005، ص70.
(٦) - الجيوسي، سلمى الخضراء، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص781.
(٧) - أحمد، محمد فتوح، الحداثة الشعرية، ص268.
(٨) - ا ربي، إسماغيل، من روائع الأدب الغالمي الاتجا ات الأدبية الحديثة في إفريقيا وأوربا وآسيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، 36/1.
(٩) -رماني، إبراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص$274.
(١٠) -كندي، محمد علي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث(السياب، نازك، البياتي)، دار الكتب الجديد، لبنان، 2003، ص52.
(١١) -عيد، رجاء، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر، ص192.
(١٢) -شعبو، أحمد ديب، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2006، ص38.
(١٣) -بوصلاح، نسيمة، تجلي الرمز في الشعر الجزائري، ص72.
(١٤) -المرجع نفسه، ص76.
(١٥) -نصر الله، هاني، البروج الرمزية دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة، إربد عالم الكتب الحديث، عمان الأردن، 2006، ص239.
(١٦) -أمين، إيمان محمد، بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل،وعمان، 2006، ص87.
(١٧) -تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص125.
(١٨) -علي، عشري، استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفمر ال ربي، القاهرة، 1997، ص138.
(١٩) -بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية لشعره، ص 125.
(٢٠) -رماني، إبراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص278.

(٢١) -بوصلاح، نسيمة، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص102.
(٢٢) -زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص174.
(٢٣) -عباس، إحسان، فن الشعر، دار صادر، بيروت، لبنان، 1996، ص131.
(٢٤) -النعيمي، أحمد إسماعيل، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، 1998، ص8.
(٢٥) -خورشيد، فاروق، أدب الأسطورة عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995، ص8.
(٢٦) -زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية، ص186.
(٢٧) -رماني، إبراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص291.
(٢٨) -رماني، إبراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص280.
(٢٩) -رحم الخواطر، ص9.
(٣٠) -رحم الخواطر، ص11.
(٣١) -رماني، إبراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص280.
(٣٢) -رحم الخواطر، ص15.
(٣٣) -رماني، إبراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص281.
(٣٤) -رحم الخواطر، ص33.
(٣٥) -رماني، إبراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص281.
(٣٦) -رحم الخواطر، ص40.
(٣٧) -رحم الخواطر، ص42.
(٣٨) -رحم الخواطر، ص ,5من كلام الشاعر والناقد العراقي جمال جاسم أمين.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. أحمد، محمد فتوح، الحداثة الشعرية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
٢. أمين، إيمان محمد، بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل،عمان، ٢٠٠٦،
٣. بوصلاح، نسيمة، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٥،
٤. الجيوسي، سلمى الخضراء، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.

٥. حميدي، حامد عبد الحسين، رحم الخواطر، دار ومكتبة الحنش، بغداد، ٢٠١٧.

٦. خورشيد، فاروق، أدب الأسطورة عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٥،

٧. رماني، إبراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت،

٨. زايد، على عشري، استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧،

٩. شعبو، أحمد ديب، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٦،

١٠. عباس، إحسان، فن الشعر، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦،

١١. العربي، إسماعيل، من روائع الأدب الغالمي الاتجا ات الأدبية الحديثة في إفريقيا وأوربا وآسيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢،

١٢. عيد، رجاء، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٧.

١٣. ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩،

١٤. كندي، محمد على، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث(السياب، نازك، البياتي)، دار الكتب الجديد، لبنان، ٢٠٠٣،

١٥. الكيلاني، إيمان محمد أمين، بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل، عمان، ٢٠٠٦.

١٦. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥،

١٧. نصر الله، هاني، البروج الرمزية دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة، إربد عالم الكتب الحديث، عمان الأردن، ٢٠٠٦.

١٨. النعيمي، أحمد إسماعيل، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٨.